كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثانية

أستاذ المادة : د. خالد محمد ياسين

اسم المادة باللغة العربية : الكتاب القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : old book

اسم المحاضرة السادسة باللغة العربية: اللفظ

اسم المحاضرة السادسة باللغة الإنكليزية :pronunciation

اللفظ :

اللفظ هو وسيلة من وسائل البيان وهو الكلام المنطوق الذي يعتبره إشارة ودلالة ويعده الجاحظ أصلا اشتقت منه وسائل البيان الأخرى ومعناه ان يجعل للغة مكاناً متميزاً بين مجموع وسائل التواصل الخمس التي حددها إذ انه يعتبرها اكثر نفعاً وانجح بياناً ومرد هذا في نظره إلى ما تتميز به اللغة من وضوح الدلالة والقدرة الفائقة على التعبير عن المعاني المختلفة .

وقد أكد الجاحظ على أهمية اللغة بالنسبة لوسائل البيان الأخرى. ان وسائل البيان كلها متشبهة ببيان اللسان ومعنى هذا أن الكلام في نظر الجاحظ هو البيان الحقيقي في حين أن غيره من وسائل التواصل . شبيهة به وتابع له.

ان المنطق أعم من الخط والإشارة والعقد أي أن دوره الاجتماعي دور أساسي لإقامة الحياة البشرية وضمان استمرارها وسلامتها وهو ما عناه الجاحظ بحديثه عن عموم نفع اللفظ وشدة الحاجة إليه.

أن المنطق أصل هذه الأشكال في حين أنها تبع له ومعناه أن اللغة في رأيه أهم وسيلة تواصلية واقدر اداة تعبيرية وهذه الفكرة نفسها هي ما عبر عنها اكثر علماء اللغة المعاصرين حين جعلوا الكلام أهم نظام اشاري إذا ما قورن بغيره من أنواع الإشارات التي يجب أن تدرس معه ، وقد اكد على ذلك دي سوسير حين حدد مكان اللغة ضمن انظمة الإشارات المختلفة.

وإذا كانت هذه الأهمية التي تتميز بها اللغة هي التي جعلت العلماء المعاصرين يولونها أكبر جهدهم وعنايتهم ويفهم مجالات الأنظمة الإشارية الأخرى ويدرسونها على ضوء ما يتوصل إليه علماء اللغة من قواعد وقوانين فإن الجاحظ قد أدرك ذلك بوعي علمي دقيق فخص اللغة بما لم يخص به غيرها من وسائل البيان .

وموضوع اللفظ والمعنى قديم نلمح جذوره في النقد الجاهلي ثم تطور البحث فيه ويعد الجاحظ من أوائل من عنوا بهذه المسائلة، إذ اهتم بالفصاحة اهتماماً كبيراً ودراسة الجاحظ للألفاظ من أوسع ما وصل الينا من تلك الفترة إذ تكلم على تنافر الحروف وملائمة الألفاظ وتماثلها ورأى أن اللفظ لا ينبغي أن يكون سوقياً كما لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً ونفهم من هذا أنه قد ثمن النص الأدبي من خلال إيثاره للفظ على المعنى وبهذا قد انتقل الأمر من - ميدان الدراسة القرآنية إلى ميدان الدراسة

الأدبية، فكان كسباً كبيراً للدراسة الأدبية إذ أخذ النقاد يهتمون بالنص الأدبي وقد دفعهم إليه التمعن والتساؤل عن مكمن الجمال في النص الأدبي وهل هو في اللفظ أم في المعنى؟ وهذه التساؤلات دفعتهم إلى النظر في المسائل الأدبية الأخرى. وان الجاحظ من أوائل من وضعوا مقاييس اللفظ حينما تكلم عن تنافر الألفاظ وما ينبغي تجنبه منها وهذا لا يعني أنه أهمل المعنى بل اكده واهتم به من خلال اهتمامه باللفظ .

وذهب ارسطو إلى أن قدرة الإنسان على الكلام وإبانته عن نفسه بالألفاظ، هي ميزته وخاصة من خواص إنسانيته.

والجاحظ نفسه يثبت رأياً منسوباً إلى صاحب المنطق- كما يدعوه- يقول فيه " حد الإنسان الحي الناطق المبين" كما يذهب إلى أن البيان باللفظ، كالبصر في حين أن من يعييهم الكلام عمي لا يبصرون؛ فالبيان بصر، والعيُّ عمى"

وإذا كان الجاحظ - كما يرى بعض النقاد - قد فصل بين اللفظ والمعنى، حينما جعل للألفاظ جهابذة، وللمعاني نقاداً وذلك في قوله " قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني المعاني : القائمة في صدور الناس ..."

فقضية اللفظ والمعنى من قضايا النقد الأدبي المهمة التي شغلت النقد والبلاغيين العرب منذ عهد مبكر وقد عالجها نقاد اليونان قبل أن يعالجها العرب بقرون والخلاف حول هذه القضية خلاف قديم فالجاحظ وهو ممن ينصر اللفظ على المعنى يومئ إلى أن الصوت هو: آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت.

إن الجاحظ في استخدامه المنهج البلاغي إنما كان يريد أن يصل إلى احكام مطلقة في (الأسلوب) السامي المؤثر للوصول إلى الغاية المرجوة وهي التوجيه الفكري لطبقات المجتمع كافة. ويقوم المنهج البلاغي على ركني اللفظ والمعنى وحاول الجاحظ أن يبين ذلك من النصوص وأن يضع أمامنا المقياس للفظ المثالي والمعنى المثالي.

ويميز الجاحظ عند استخدام الألفاظ المناسبة الداعية استخدام الألفاظ المناسبة الداعية لاستعمال لفظ ما، فإن الألفاظ الاصطلاحية لا تستخدم إلا في مكانها الذي وضعت له وبذلك يتجنب الإنسان الخطأ في المدلول .

ثم يتكلم الجاحظ عن الركن الثاني من هذا المنهج وهو (المعنى) ويحاول أن يضع قاعدة للمعنى وعلاقته باللفظ.

والجاحظ يفصل في دقائق الأسلوب البلاغي وأن يضع بعض المصطلحات لما يسمى الآن الاستعارة والكناية والمجاز وان يقرب ذلك منا بضرب المثلة كل ذلك في محاولة لكشف اسرار الجمال الأدبي في النص لغرض استخدام الشعراء والكتاب لها او تفسير أساليب على ضوء ذلك.

وقي دراسته للألفاظ تكلم على تنافر الحروف وملائمة الألفاظ وتماثلها ورأى أن اللقط كما لا ينبغي أن يكون " عاماً وساقطاً سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون أن يكون غريباً وحشياً ..." نفهم من هذا أنه قد ثمن النص الأدبي من خلال إيثاره للفظ على المعنى وبهذا فقد انتقل الأمر من ميدان الدراسة القرآنية إلى ميدان الدراسة الأدبية .

وهناك سؤال يطرح نفسه في هذا المجال هو: كيف نستطيع ان نحصل عن طريق الحروف على الفاظ مختلفة ؟

إن التأليف الذي يتردد باستمرار في تراث الجاحظ هو الكفيل بتحقيق ذلك ومعناه أن بعض الصور الصوتية يضم إلى بعض كي تنتج كلمات... وهذا الضم لا بد أن يأتي بدوره على شكل مخصوص أي أنه لابد فيه من الترتيب حتى يؤدي إلى الحصول على الفاظ مفردة وتستطيع إدراك ذلك حين نقارن بين أصوات الطيور والحيوانات وبين الأصوات البشرية المؤدية إلى الألفاظ فالأولى لا تقطيع فيها ولا تأليف أي انها غير متمايزة ولا مرتبة على نسق معين ، في حين أنه من الضروري في أصوات الإنسان حين عملية التكلم من أن يختلف ، وان يسبق بعضها بعضاً أو تتلو اصوات مقطعة اصواتاً أخرى. يقول الجاحظ" والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف".

والحقيقة أن مصطلح التأليف عند الجاحظ دقيق الاستعمال، ويثير لهذه الدقة غموضا وعدم تمييز بينه وبين مصطلح قريب منه هو (النظم) ويبدو ان مصدر هذا الغموض هو الاختلاف بين العلماء الذين جمعوا بين البلاغة وعلم الكلام فيما يتعلق بحد الكلام البشري.

وقد اعتبر بعض العلماء الكلام عرضاً لا جوهراً، وعلى هذا فالكلام صوت وتقطيع وتأليف عند الجاحظ أو صوت وتقطيع وانتظام عند غيره ممن اعتقدوا أن الكلام ليس جسما. وقد استعمل الجاحظ مصطلح التأليف استعمالين اثنين يختلفان اختلافاً بيناً.

فالأول ذو دلالة فلسفية، مفادها تركيب الأجزاء.

والثاني استعمال بلاغي مرادف للنظم عنده.

ومن هنا تستطيع القول :

١- أن الكلام عند الجاحظ جسم لا عرض أي مادة. مستقلة بنفسها تتشكل بجملة عمليات يقوم بها الإنسان كي يعبر عن متصوراته الذهنية.

٢- انه صوت وتقطيع وتأليف.

٣- ان التأليف عنده يعني التركيب أو الضم ويعني ايضاً الصياغة الفنية للكلام، التي تتخذها بعض الأعمال الإبداعية المعتمدة على اللغة وهو يرادف بهذا المعنى الثاني النظم .

٤- أن النظم عند من اعتقد ان الكلام ليس جسماً يتخذ بدوره معنيين الأول فلسفي يدخل في إطار نظرية الكلام، والثاني بلاغي ويعني الصياغة الفنية التي تميز الأثار الأدبية الجيدة.